

كانون الثاني جانفي
2019

دراسات معاصرة

ISSN: 2571-9882
EISSN: 2600-6987

معامل التأثير العربي لسنة 2018 قدره 0.265

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ دَوْلِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ نَصْفُ سَنَوِيَّةٌ تُعْنَى بِالدِّرَاسَاتِ النَّقْدِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ
تُصَدَّرُ عَنْ مَخْبَرِ الدِّرَاسَاتِ النَّقْدِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ الْمُعَاَصِرَةِ - الْمَرْكَزِ الْجَامِعِيِّ الْوَنْشَرِيْسِيِّ - تَيْسَمْسِيلْتِ / الْجَزَائِرِ

السنة الثالثة - المجلد 03 - العدد 01

الإيداع القانوني:

جانفي 2019

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت



ISSN 2571-9882

EISSN 2600-6987

الإيداع القانوني: جانفي 2019

معامل التأثير العربي لسنة 2018 / 0.265

دراسات معاصرة

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر

تعنى بالدراسات النقدية والأدبية واللغوية

السنة 03 المجلد 03 العدد 01 / جانفي / كانون الثاني 2019

مختبرات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان المجلة: المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر

البريد الإلكتروني للمجلة: dirassat.mo3assira@gmail.com

تستقبل المجلة البحوث عبر المنصة الجزائرية للمجلات العلمية المحكمة

رابط المجلة:

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297>

الرئيس الشرفي للمجلة: أ. د. دحدوح عبد القادر / مدير المركز الجامعي - تيسمسيلت

مدير المجلة: أ. د. د. خلف الله بن علي - المركز الجامعي - تيسمسيلت

رئيس التحرير: د. فايد محمد - المركز الجامعي - تيسمسيلت





هيئة التحرير:

- أ.د. مصباح محمد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
أ.د. سمر الديوب- عميد كلية الآداب-جامعة حمص/سوريا.
أ.د. فريد أمعشوشو- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق - وجدة / المغرب
أ.د. خلف الله بن علي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.عادل الصالح- كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان/ تونس
د.بشير دردار- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.سحنين علي-جامعة معسكر/الجزائر
د.غربي بكاي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.سليمان زين العابدين- مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب
والفنون مكناس/المغرب

الهيئة الاستشارية للمجلة:

- أ.د. مصطفى عطية جمعة-كلية التربية الأساسية-الهيئة العامة للتعليم التطبيقي/الكويت
أ.د.يوسف وغليسي-جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة/الجزائر
أ.د.صابر الحباشة-قسم اللغة العربية-جامعة زايد/الإمارات العربية المتحدة
أ.د.بوزيان أحمد-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
أ.د.فريد أمعشوشو-المركز الجهوي لمهن التربية والتعليم-وجدة/المغرب
أ.د. بوشوشة بن جمعة-الجامعة التونسية/تونس
أ.د.علي ملاحي-كلية الآداب واللغات الشرقية-جامعة الجزائر 02/الجزائر
أ.د.عقاق قادة-كلية الآداب-جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس/الجزائر
أ.د.نعيمة علي عبد الجواد(لغة وأدب إنجليزي)-كلية الآداب-جامعة القصيم/السعودية
أ.د.مباركي بوعلام-كلية الآداب-جامعة الطاهر مولاي-سعيدة/الجزائر
أ.د.غربي شميصة-كلية الآداب-جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس/الجزائر
أ.د.زروقي عبد القادر-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
أ.د.بولفوس زهيرة-جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة/الجزائر
أ.د.ذهبية حمو الحاج-كلية الآداب-جامعة مولود معمري-تيزي وزو/الجزائر
أ.د. عبد العالي بوطيب جامعة مولاي إسماعيل مكناس/ المغرب.



اللجنة العلمية للعدد الأول المجلد الثالث - السنة الثالثة (يناير 2019):

- أ.د. مصباح محمد - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. لرقم راضية - كلية الآداب - جامعة قسنطينة / الجزائر
د. يونس محمد - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
أ.د. سمر الديوب - عميد كلية الآداب - جامعة حمص / سوريا
د. بن قلبية مختارية - كلية الآداب - جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم / الجزائر
أ.د. فريد أمعشوشو - المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق - وجدة / المغرب
د. محمد الرقيبات - جامعة اليرموك / الأردن
أ.د. خلف الله بن علي - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. فاضل دلال - جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي / الجزائر
أ.د. بن فريحة الجيلالي - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. بوزوادة حبيب - كلية الآداب - جامعة معسكر / الجزائر
د. بولخراس محمد - كلية الآداب - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
د. طالب عبد القادر - جامعة محمد بوقرة - بومرداس / الجزائر
د. رز ايقية محمود - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. عادل الصالح - كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان / تونس
د. مرسل مسعودة - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. نورة الجهني - جامعة الملك عبد العزيز - جدة / السعودية
د. بلهموب هند - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. علاوة كوسة - المركز الجامعي - ميلة / الجزائر
د. عبد العالي السراج - مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب والفنون
مكناس / المغرب
د. معازيز بوبكر - كلية الآداب - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
د. حاكمي لخضر - كلية الآداب - جامعة د. الطاهر مولاي - سعيدة / الجزائر
د. بومسحة العربي - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. بلمرسل سبيع - كلية الآداب - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
د. روقاب جميلة - كلية الآداب - جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف / الجزائر
د. بشير دردار - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. سحنين علي - جامعة معسكر / الجزائر



- د. هادي لخير - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- أ. د. سيدي محمد بن مالك - المركز الجامعي مغنية / الجزائر
- د. شريف سعاد - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- د. طير ابراهيم - مركز ابن زهر للأبحاث والدراسات في التواصل وتحليل الخطاب (مريد) -
أغادير / المغرب
- د. تواتي خالد - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- د. بوضياف محمد الصالح - المركز الجامعي - النعامة / الجزائر
- د. بوعرارة محمد - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- د. براهي فاطمة - كلية الآداب - جامعة جيلالي ليايس - سيدي بلعباس / الجزائر
- د. غربي بكاي - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- د. باقل دنيا - كلية الآداب - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
- د. خضر أبو جحجوح - الجامعة الإسلامية - غزة / فلسطين
- د. بولعشار مرسل - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- د. دبيح محمد - كلية الآداب - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
- د. سليمان زين العابدين - مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب
والفنون مكناس / المغرب
- د. فايد محمد - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- د. خالد كاظم حميدي - كلية الشيخ الطوسي الجامعة / العراق
- د. بوغاري فاطمة - كلية الآداب - ملحقة قصر الشلالة - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
- د. بوشلقية رزيقة - كلية الآداب - جامعة مولود معمري - تيزي وزو / الجزائر
- د. فارز فاطمة - كلية الآداب - ملحقة قصر الشلالة - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
- د. زغودة اسماعيل - كلية الآداب - جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف / الجزائر
- د. بوسحابة رحمة (ترجمة) - كلية الآداب - جامعة معسكر / الجزائر



روابط توطين مجلة دراسات معاصرة

المجلة موطنة ضمن موقع الأرضية الجزائرية الإلكترونية للمجلات العلمية المحكمة asjp

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297>

ومفهرسة عبر موقع المركز الجامعي تيسمسيلت عبر الرابط الآتي

[/ http://www.cuniv-tissemsilt.dz/index.php/dirassat-moaasira](http://www.cuniv-tissemsilt.dz/index.php/dirassat-moaasira)

وعبر موقع معامل التأثير العربي عبر الرابط الآتي

<http://www.arabimpactfactor.com/Pages/tafaseljournal.php?id=7658>

وعبر قاعدة بيانات دار المنظومة بالملكة العربية السعودية/ رابط دار المنظومة

[/ http://mandumah.com](http://mandumah.com)

وعبر قاعدة بيانات مؤسسة معرفة للمحتوى الرقمي بالأردن/ رابط المؤسسة

[/ https://e-marefa.net/ar](https://e-marefa.net/ar)



شروط النشر وضوابطه

مدير النشر: د. بن علي خلف الله

رئيس التحرير: د. فايد محمد.

تشرف الهيئة المشرفة على مجلة (دراسات معاصرة)، بدعوة السادة الباحثين من داخل الوطن وخارجه للمساهمة في أعدادها المقبلة بإذن الله، وذلك بإرسال أوراقهم البحثية التي تدخل ضمن اهتمامات المجلة، مع التنويه بضرورة التزام شروط النشر وضوابطه المعتمدة والمبيّنة أدناه:

- 1- تنشر المجلة الأبحاث ذات الصلة باللغة والأدب والنقد.
- 2- يشترط في البحث أن لا يكون نشر أو قدم للنشر في أي مكان آخر، ويتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث للنشر.
- 3- تخضع البحوث للتقويم حسب الأصول العلمية المتبعة.
- 4- يكتب البحث باستعمال برنامج 2007 Microsoft Word بصيغة doc أو بصيغة docx. وتكتب الهوامش في آخر البحث يدوياً.
- 5- الخط عربي تقليدي حجم 16 للمتن، 14 للإحالات (باللغة الأجنبية خط times new roman) حجم 14 للمتن 12 للإحالات.
- 6- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20، ولا يقل عن 15.
- 7- العناوين الرئيسية والفرعية: تستخدم لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، ويتسلسل منطقي.
- 8- يقدم الباحث ملخصاً وكلمات مفاتيح باللغتين العربية والانجليزية.
- 9- لـهيئة التحرير حق إجراء تعديلات تتعلق بالإخراج الفني النهائي لمواد المجلة.
- 10- قرار هيئة التحرير بقبول إحالة البحث إلى المحكمين أو رفضه مباشرة قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها بعدم إبداء الأسباب.
- 11- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة.
- 12- تدرج الإحالات بصيغة يدوية في نهاية البحث ويستعمل الباحث العلامة: "....." لتبيان بداية ونهاية الاقتباس،
- 13- الكلمات والمصطلحات وأسماء الأعلام باللغتين تميز بعلامة تختلف عن علامة الاقتباس... (.....) مثلاً.
- 14- يزود الباحث بنسخة pdf من العدد الذي نشر فيه بحثه.

ملاحظة مهمة: يتم استقبال المقالات على مدار السنة. تصدر المجلة مجلداً واحداً كل سنة يتكوّن من عددین يصدر الأول في الأسبوع الأول من شهر يناير من كلّ سنة أما الثاني فيصدر في الأسبوع الأول من شهر جويلية/ نوقف استقبال المقالات الخاصة بكل عدد قبل موعد نشره بـ 90 يوماً

كانت حلماً يداعب مخيلتنا، وأصبحت حقيقة بين يدي قرائها، وباحثيها. لم يكن في أذهاننا أن نضيف رقماً إلى سلسلة الدوريات المحكمة في الوطن العربي، ونحن ندرك أنه هدف مشروع، ولا يخلو من فائدة حين يتحول التراكم إلى كيف ما، لكن المسافة بين هدفنا والأفق المفتوح كانت حافلة بالأحلام الخضر؛ لذا لم تقتنع بالثمار الميسورة من شجرة الواقع الثقافي، وامتد حلمنا إلى مجلة تقنع عقول قرائها، وتقدم لهم الفائدة المرجوة، وتكون عوناً للباحثين، فراحت أنظارنا تتعلق بزراع شجرة جديدة؛ لقناعتنا أن ما تأتي به الرياح تأخذه الرياح، فكان سعيها لتأسيس عمل جاد علمي رعيناه بذرة لكي يتحول إلى شجرة لا تخطئها العين.

ولأن هذا انحصار في الافتتاح على الوعي الثقافي ذلنا الصعوبات وأطلقنا مجلة دراسات معاصرة المحكمة، وفرض هذا الأمر أن نتعامل تعاملات خاصة مع المادة البحثية المنشورة في مجلة دراسات معاصرة، مادة تشتمل على الإبداع، والأصول البحثية المنهجية، والعمق والرؤية الجديدة. من هنا انفتح أفق المجلة على الأبحاث الفكرية النقدية واللسانية واللغوية؛ أي على أقاليم المعرفة الإنسانية مزينة هيئة تحريرها بنخبة من الأساتذة المشهود لهم بالكفاءة في الوطن العربي.

وشرعت المجلة أبوابها للباحثين من دول الوطن العربي، وترينت هيئة تحريرها بالنخبة من النقاد المميزين في الوطن العربي من شرقه إلى غربه، فلم يحدّ تباعد المسافات من التواصل، بل جعلنا أشد شوقاً إلى الآخر. إن حظ دراسات معاصرة في الوجود بين شقيقتيها في الوطن العربي يصبح وجوداً حيويًا، يكتظ بالإنجازات المهمة، والخطوات الخضر. إننا نفتخر أنها ولدت في زمن التطلعات الكبرى نحو التميز والإبداع. إننا مسكونون بالقد الأجل، وتحقيقاً لهذا الطموح يصدر هذا العدد من مجلة دراسات معاصرة متضمناً جملة من المباحث المهمة التي تثير أسئلة في النقد تتصل بالمضامين التي يتأسس عليها أو بالمنهج والآليات التي يتوسل بها حين يستطلق النص الأدبي، وحول أسئلة النقد ثمة أسئلة أخرى ترصد الحيثيات القائمة بين النقد بوصفه حقلاً معرفياً والسياق الفكري الذي يصنعه الحدث التاريخي. فلم ينفصل النقد الأدبي يوماً عن المنظومة الفكرية العامة.

في هذا العدد الأول من المجلد الثالث الذي يصدر للسنة الثالثة على التوالي ثمة جملة من المباحث المتنوعة ما بين الفكري والنقدي والاجتماعي واللساني واللغوي، فيطالعنا بحث التجربة النقدية لدى محمد مصايف، والبعد التداولي للغة في تحليل الخطاب، وتحديد مكانة المرأة القديمة والمعاصرة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، والعلاقة بين الذات والآخر في رواية أول حب آخر حب في رواية ماري رشو، وآليات السرد المعاصر في الخطاب الأدبي، والشخصية المسرحية من منظور التلقي، وظاهرة الخلط في كتب التراث اللغوية، وغيرها الكثير من المباحث المتنوعة.

ونحن إذ نصدر هذا العدد الجديد نعمل على تطوير حلمنا، ونشكر القائمين على شؤون المجلة، والساعين إلى الارتقاء بها إلى أفضل المستويات، ونعد بالأفضل دائماً.

بقلم المحرر المساعد أ.د. سمر الديوب

سوريا - حمص - جامعة البعث

محتوى العدد:

- 22-11.....أثر البنية الإحالية لضمير الشأن في التماسك النصي (دراسة تطبيقية في بعض آي القرآن الكريم).
د. نور الدين دريم- جامعة الشلف الجزائر.
- 31-23.....الاستشراق بين الاستمرارية و الأفول دراسة حجاجية.
د. حكيم دريسي- جامعة سيدي بلعباس الجزائر.
- 39-32.....البعد التداولي للغة في تحليل الخطاب.
د. بومسحة العربي- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- 48-40.....التجربة النقدية لدى محمد مصايف.
أ.د. خلف الله- بن علي المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- 57-49.....التحقيق وعلم الخطوط (المصطلح والمفهوم)
د. فتح الله محمد- المركز الجامعي أحمد بن يحيى الوشريسي تيسمسيلت الجزائر.
- 64-58.....التكامل بين محارقي المحادثة والاستماع في التحصيل اللغوي المرحلة التحضيرية نموذجاً.
أ.د. بن فرجة جيلالي- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- 73-65.....الحكاية الشعبية في موازين الدراسات السيميائية والأثروبولوجية (تحليل حكاية شعبية مرحة من منطقة الشلف).
د. نبيلة بلعبدى- جامعة الشلف الجزائر.
- 81-74.....الخطاب الإشهاري في ضوء المقاربة الحجاجية.
د. سعيدة حمداوي- جامعة أم البواقي الجزائر.
- 95-82.....الخطاب النقدي القديم من احتذاء النحو إلى وصاية البلاغة.
د. بشير دردار- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- 106-96.....الزوائد المعرفية الحديثة في تشكيل الفكر الأدونيسي (الهوية الممزقة والدفاع ضد القمع).
د. معازيز بوكري- جامعة تيارت الجزائر.
- 116-107.....الشخصية المسرحية من منظور التلقي مسرحية "حلم ليلة دم" نموذجاً.
د. بشري سعيدي- الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية المملكة المغربية
- 127-117.....العلاقة بين الذات والآخر في رواية "أول حب آخر حب" لـ ماري رشو.
د. إبراهيم الشبلي- المعهد العالي للغات الحية جامعة آرتوكلو ماردن تركيا.
- 134-128.....القارئ و حركة الإبداع عند نبيلة إبراهيم و حميد لمحمداني
الباحث: بوعلام حمديدي- جامعة الجزائر 2 الجزائر.
- 141-135.....المثقف الجزائري ورحلة المعاناة في روايات عز الدين جلاوي.
د. رويدي عدلان- جامعة جيجل الجزائر.
- 154-142.....المعرفة المشتركة بين لسانيات الخطاب و البلاغة العربية -دراسة في آليات التقارب-
د. إدريس عمراني- مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث مكناس/المملكة المغربية
- 161-155.....المنهج الأسلوبي عند صلاح فضل.
الباحثة: لرجاني خديجة- أسماء جامعة سيدي بلعباس الجزائر.
- 170-162.....النظرية التوليدية التحويلية وعملية التواصل اللغوي.



- الباحثة: نعمة طيبي- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- 180-171..... النقد النسوي العربي، إرهابات وتجليات.
- الباحث: عمارني محمد- جامعة تيارت الجزائر.
- 186-181..... آليات السرد المعاصر في الخطاب الأدبي الإبراهيمي -التعدد اللغوي في رواية الثلاثة أنموذجا.
- الباحثة: نقيّة هاجر- جامعة سطيف 2 الجزائر.
- 195-187..... بنية الجملة العربية في الكتابات اللسانية التوليدية التحويلية المعاصرة كتابات عبد القادر الفهري أنموذجا.
- الأستاذ: محمد يزيد سالم- جامعة بسكرة الجزائر.
- 200-196..... بنية الحدث في رواية "فوضى الحواس" "لأحلام مستغاني".....
- الباحثة: بن عيسى سميرة- جامعة سيدي بلعباس الجزائر.
- 213-201..... بنية العامل وإنتاج السرد قراءة سيميائية في رواية رأس الشيطان لنجيب الكيلاني.
- د. رشيد بلعيفة- جامعة خنشلة الجزائر.
- 226-214..... تحديد مكانة المرأة القديمة والمعاصرة في ضوء علم اللغة الاجتماعي (أشعارُ الخنساء و سعاد الصباح أنموذجا).
- د. روح الله صيتاني تجاد- جامعة كاشان جمهورية إيران الإسلامية
- 236-227..... تعالق الشعر والدين في رواية سمرقند لـ "أمين معلوف".....
- الباحث: نوال العايب- جامعة عنابة. الجزائر.
- 245-237..... تقنيات السرد العربي القديم في ضوء العجائبية ألف ليلة وليلة أنموذجا.
- الباحثة: ناجي نادية- جامعة تيارت الجزائر.
- 254-246..... دور التلفزيون في الحفاظ على الثقافة الشعبية حصة "أماشوها" أنموذجا.
- د. مولود بوزيد- جامعة تيزي وزو. الجزائر.
- 260-255..... رمزية الصورة الفوتوغرافية للأمير عبد القادر الجزائري- قراءة في الدلالة و التأويل -.
- د. حاكمي لخضر- جامعة سعيدة الجزائر.
- 271-261..... صفات الحروف بين الثعاة والبلاغيتين.....
- الباحث: بوشيلية حبيب- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- 279-272..... طرائق التدريس ودورها في تفعيل العملية التعليمية.....
- الباحثة: بن نجة فتيحة- جامعة تيارت الجزائر.
- 290-280..... ظاهرة الخلط في كتب التراث اللغوية غياب منهج أم سوء فهم؟ (البيان والتبيين نموذجاً).....
- د.مرسلي مسعودة- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- 302-291..... فاعلية السرد في الحكاية العجيبة "نصف عبيد" البناء والدلالة.....
- الباحثة: فائزة بن كروش- جامعة محمد بوضياف /المسيلة الجزائر.
- 308-303..... فلسفة القراءة التفكيكية من التأويل إلى انحراف المعنى.....
- د. عبد الرزاق علاء- المركز الجامعي عين تموشنت الجزائر.
- 318-309..... فن القراقوز في الجزائر من خلال أدب الرحلات الأجنبية.....
- أ.مباركة مسعودي- جامعة عنابة الجزائر.
- 328-319..... من مباحث تعليمية المعجم عند روبر غاليسون.....
- الباحث: وسعي بشير- جامعة سعيدة الجزائر.



تاريخ الإرسال: 17 مارس 2018

تاريخ القبول: 30 نوفمبر 2018

تاريخ النشر: 02 جانفي 2019

صفات الحروف بين النحاة والبلاغيين

Character traits between the grammarians and the Bulgarians

الباحث: بوشيبة حبيب

إشراف الدكتور: بولعشار مرسللي

المركز الجامعي تيسمسيلت

الجزائر

bouchibahabib8@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على عمل علماء الصوت وجهودهم الجبارة في التأصيل للدرس الصوتي العربي، وتلخيصاتهم لأسرارهم من خلال وقوفهم على باب الصفات على وجه الخصوص، كالجهر والهمس والشدة والرخاوة وغيرها، وذلك انطلاقاً من المراكز التي أرسى دعائمها الخليل بن أحمد الفراهيدي 175هـ، وسيبويه 180هـ، وابن جني 392هـ، ثم نعرّج على عمل البلاغيين وطريقة تعاملهم مع صفات الحروف، وكيف استعملوها في سبر أغوار ظواهر الكلام من فصاحة وبلاغة وبيان، بغية الوصول إلى نسقٍ تلفظي تواصلٍ سليم، وهذا يتم عن مدى الزخم الفكري والعلمي الذي اتسم به اللسان العربي.

الكلمات المفتاحية: صفات الأصوات اللغوية، الفصاحة، البلاغة، الإذلاق، الإصبات، الدراسة الصوتية.

Abstract:

The present study aims to shed light on phonologists great efforts in rooting Arabic phonological study, by analyzing sound characteristics in particular like audibility, whispering, strength, weakness... etc. starting from the achievements of El-Khalil Ben Ahmed El FARAHIDI 175 A.H, Sibawayhi 180 A.H and Ibn Jinni 392 A.H, then it will take into consideration the work of rhetoricians and their method to deal with letters characteristics, and how they used them in exploring secrets of speech phenomena such as eloquence and rhetoric, to establish a coherent communicative articulation, which reflects the extent of scientific and intellectual abundance of Arabic language.

Key words: characteristics of linguistic sounds, eloquence and rhetoric, fluency and friction, sound studie

توطئة:

الأصوات العربية التي شهدت عنايةً منقطعة النظير، لتشهد بعد ذلك عملية التعرض لصفات الحروف تشظٍ وتوسّع عند النحاة ثم البلاغيين، كان هدفها التقعيد والتثبيت لإرساء آليات من شأنها سبر أغوار الظاهرة الصوتية عند العرب.

صفات الحروف عند النحاة :

إن التعرض للدراسة الصوتية سواءً عند النحاة أو البلاغيين ترتب عن التعرض إلى المخارج والصفات؛ إلا أنّ قدم السبق في وضع معالم الدراسة الصوتية تعود إلى النحاة بالدرجة الأولى، ويُعدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي الأساس في إرساء هذه الدراسة الصوتية.

مما لا شك فيه أن الدراسة الصوتية قد حظيت عبر الحقب التاريخية، بعناية فائقة لدى الدارسين والباحثين، ولم يكن التراث العربي بمنأى عن هذا اللون من الدراسة، فقد كانت أولى إرغاصات التّكشّف وخوض غمار وحشيات البحث الصوتي مع الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، ومن حذا حذوهم من النحاة والبلاغيين، بعد المراكز التي وضعها أبو الأسود الدؤلي بإيعاز من علي بن أبي طالب بعد ظهور غائلة اللحن في اللسان العربي، وذلك خوفاً من وصوله إلى القرآن الكريم؛ فكانت أولى ملامح الدراسة الصوتية العربية مُتمظهرةً في المخارج ثم في صفات

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ): لقد أرسى الخليل بن أحمد الفراهيدي البذور الجينية لهذا اللون من الدراسة بتكشّفه عن المخارج، حين كان يهدف إلى وضع معجم للغة العربية على غرار معاجم الحضارات الأخرى، حيث استهلّ ترتيبه للمخارج بأعمق تلك الحروف وأبعدها مخرجا وهو العين.

ووفقاً لثنائية العمق والبعد للمخرج تدرّج في الترتيب إلى أن وصل إلى الحروف الشفوية وهي (الفاء والباء والميم)، ثم الحروف الجوفية أو الهوائية وهي حروف المد (الواو والألف والياء) إذ يقول: "فأقصى الحروف كلّها العين ثم الحاء ولولا بحّة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هتّة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرجها من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف من حيز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الحاء والغين في حيز واحد كلّهن حلقية، ثم القاف والكاف لهويّتان، والكاف أرفع، ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاي في حيز واحد، ثم الطاء والدال والتاء في حيز واحد، ثم الطاء والدال والتاء في حيز واحد ثم الزاء واللام والتون في حيز واحد، ثم الفاء والباء والميم في حيز واحد، ثم الألف والواو والياء في حيز واحد، والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه"¹. وقد كان هدف الخليل وضع سياج للسان العربي بغية تحصيله من اللّخيل، حيث عمد إلى نظام التقليبات لمعرفة المستعمل في العربية من المهمل، وتظهر فائدة وثمرة عمل الخليل في احتواء معجمه على أصول العربية الفصيحة الخالية من الغريب المستهجن مما كان عليه عصر الخليل آنذاك، وما يمكن قوله بأن بداية الدرس اللغوي مع أبي الأسود كانت لدفع اللحن، أما عمل الخليل ومن جاء بعده فكان يهدف إلى تنظيم النطق ومعرفة آلياته.

وعلى هذا الأساس، فإذا كانت مساحة الدرس الصوتي مع أبي الأسود الدؤلي قد انحصرت ضمن الحدود التمهيدية بغرض تنقيط المصحف العثماني وفقا للهيئة الفيزيولوجية التي تظهر بها الشفتان بقوله: "إذا رأيتني قد فتحت في بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضمنت في فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعته شيئا من ذلك غنة، فاجعل مكان النقطة نقطتين"²، فإنّ مساهمة الخليل تُعدّ بحق فاتحة التأسيس ومحور التأصيل لحقل الصوتيات العربية التراثية والذي تمثّل في معجم العين، مما جعله يحوز الأسبقية المنهجية في ترتيب معجمه، وأكسبه أسبقية تاريخية في حسن التدوين وجمال التأصيل، حيث جعل من الحروف العربية قسمين: الأصوات الصّاح، والأصوات الهوائية فكان يرى بأن "في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا

صحاحا لها أحياز ومدارج وأربعة أحرف جوف وهي الواو والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللّهاة، إنما هي هوائية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"³.

وعلى هذا التقسيم هذا من جاء بعد الخليل من النحاة فكان لا مناص لهم من الاستكانة إلى رؤيته، باستثناء بعض التفصيلات والنظرات التجزيئية للمخارج، فكان عملهم تثبيتا وتقعيدا لما جاء به، بغض النظر عن بعض الزيادات الثانوية كالشواهد من القرآن والشعر والحديث النبوي، أو عزو الشواهد الخليلية إلى أصحابها.

2- سيويوه (180هـ): يُعدّ سيويوه الرافد المرجعي بعد الخليل في الوقوف على كنه المستوى الأول للظاهرة اللغوية العربية في ممدّها، ونظرا لأن "الأصول ثراعي ويحافظ عليها"⁴، فإن سيويوه - وبروح الوثوقية التي كانت تكتنفه في أستاذة الخليل - لم يزد عن عمل أستاذة في نظريته للمخارج، غير أن قام بعملية تجزيئية للأحياز الخليلية فتوصل إلى ستة عشر مخرجا؛ أما ما يُلح صده عند سيويوه فضلا عن نظريته التدقيقية في المخارج، ولوّجه وارتقاؤه إلى الكلام عن الصفات المتعلقة بالأصوات، بعد أن اهتدى إلى أن الحروف العربية أصول وفروع، فبيّن بأن "أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا"⁵، ثم انتقل للحديث عن الفروع وهي ما دون التسع والعشرين المذكورة فقال: "وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هنّ فروع وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي: التّون الخفيفة والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشّين التي كالجم، والضاد التي تكون كالزاي، وألف التّفخيم يعني بلغة أهل الحجاز في قولهم الصلاة والزكاة والحياة"⁶، حيث جعل هذه الصفات التي تثبت نطقا لا كتابة معيارا لإضفاء الجمالية في القرآن وهي صفات أو ألفونات تستسيغها الأذن، ويروق سمعها، ولا يُمجّج قارئها بخلاف المستهجنة، ولعل سيويوه كان يقوم بعملية استقراء وتنقيب من القرآن والحديث والشعر، فضلا عن الأخذ من أصول القبائل العربية التي لم يتغور لسانها غورا فاحشا كقريش وتميم وأسد وكنانة، الذين كانوا يُعدّ لسانهم عرفا لغويا لدى القبائل العربية الأخرى.

وبناء على المعايير اللغوية قابل سيويوه الصفات المستحسنة بصفات غير مستحسنة وهي: "الكاف التي بين

الكاف والجيم، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والضاد التي كالشين، والطاء التي كالطاء، والطاء التي كالطاء، والباء التي كالباء⁷.

وما يمكن قوله عن عمل سيبويه أنه شابه وسائر أستاذه الخليل في الدراسة الصوتية من حيث الخارج، واستدرك ما فاتته الخليل- في عدم ذكره للصفات، حيث اعتمد سيبويه في تقسيمه لصفات الحروف بالانكفاء على قوة اندفاع النفس أو ضعفه، وقسم صفات الحروف إلى ثلاثة أقسام هي:

صفات عامة: تتمثل في الجهر والهمس، الشدة والرخاوة والتوسط. صفات خاصة: تتمثل في الإطباق والانفتاح، اللين، المد، الاستطالة، التفشي، الصغير والغنة.

صفات مفردة: تتميز بها أصوات مفردة كالانحراف والتكرير.

أهم صفات الحروف المعتمدة عند سيبويه في التفريق بين الأصوات:

1- الجهر والهمس: تعدّ هاتين الصفتين من الأسس التي ارتكز عليها سيبويه في معرفة صفات الحروف الأساسية، حيث عرّف الجهر بأنه "حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"⁸، وعرف المهموس بقوله: "وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه"⁹، وحروف الهمس ما جمع في قولهم (فخته شخص سكت) وما عداها فهو مجهور.

2- الأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة:

هذا التصنيف للأصوات عند النحاة قائم على حالة مرور الهواء أثناء النطق بالصوت، فقد يعترضه عوائق تمنع خروجه منعاً تاماً أو جزئياً أو يصيبه انحراف، فيخرج من جانبي الفم أو الأنف، وعلى هذا الأساس عرّف سيبويه الحرف الشديد بأنه: "الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة والقاف والكاف، والجيم والطاء والتاء، والذال، والباء وذلك أنك لو قلت ألحج، ثم مددت صوتك لم يجر ذلك"¹⁰.

وقد هين سيبويه بتقسيمه هذا للحروف فلم يكن لابن جني بدّ من اقتفاء أثره في تقسيم الحروف إلى شديدة ورخوة ومتوسطة، فقال "وللحروف انقسام آخر إلى الشدة والرخاوة وما بينهما، فالشديدة ثمانية أحرف، وهي: الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والذال والتاء والياء، ويجمعها في اللفظ (أجدت طبقك) أو (أجدك طبقت)، والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضاً وهي الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو، ويجمعها في اللفظ لم يرو عثاً... وما سوى هذه الحروف والتي قبلها هي الرخوة"¹¹، وصورة الصوت

الشديد وصفته عند ابن جني فهو "الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه، ألا ترى أنك لو قلت: ألحق والشط، ثم رمت مدّ صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعاً"¹².

3- الإطباق والانفتاح: وهي من الصفات التي اهتمت إليها النحويون وعملوا على الكشف عنها، وحروف الإطباق هي: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء؛ وسميت بالمطبقة لأن "الإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له، ولولا الإطباق لصارت الطاء ذالا، والصاد سيناً، والطاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها تزول الضاد إذا عدمت الإطباق إليه"¹³، أما المفتحة، فهي "كل ماسوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى"¹⁴.

4- الاستعلاء والاستفال: وهما من الصفات المتضادة أيضاً، ولا شك أن الفعل الحقيقي في نشوء التضاد بين الصفات المتضادة عموماً هو حركة اللسان، وقد تعرّض سيبويه للحديث عن الاستعلاء في معرض حديثه عن الإمالة، حين بيّن ما يمتنع من الإمالة من الألفات بقوله: "فالحرّوف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الغين، القاف، الخاء إذا كان حرف منها قبل الألف والألف تليه"¹⁵.

وعرّفه ابن جني بقوله: "ومعنى الاستعلاء أن تتصدّد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وقد ذكرناها، وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها"¹⁶؛ أمّا الاستفال فقد وصف النحاة الأصوات المستفلة بأنها ماعدا الأصوات المستعالية المذكورة، وعملية التطق بها تكون خلاف الأولى، وذلك لنزول مؤخرة اللسان إلى قاع الفم، وسمّى ابن جني الاستفال بالانخفاض وبيّن حروفه بأنها ما سوى حروف الاستعلاء¹⁷.

وعلى هذا الأساس، فحروف الاستفال هي اثنان وعشرون حرفاً: الهمزة، الألف، الهاء، العين، الخاء، الكاف، الجيم، الشين، الياء، السين، الزاي، الذال، التاء، الناء، الذال، الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، الميم، الواو.

وقد بيّن سيبويه إحكام التطق عند العرب من منطلق صفتي الاستعلاء والاستفال، أو التسفل كما سماه سيبويه، أو الانحدار كما أسماه ابن جني، وذلك بعدم الجمع بين الصفتين في آن واحد بغية تجنب الاستقلال في الكلام¹⁸.

5- التخميم والترقيق

لم يخصّ سيبويه التخميم والترقيق بذكر مباشر مثلاً تحدّث عن الصفات الأخرى، وإثبات ذكره أيضاً في معرض حديثه عن حروف الإطباق الصاد والضاد ثم الطاء والطاء، وبيّن أهميته

سيبويه أثناء حديثه عن الإدغام أيضا، وبين بأنها تتميز بحسن التلثي لدى السامع فقال: "وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن، لأنهن حروف الصغير، وهن أندر في السمع"²⁹.

إن ما يمكن قوله عن سيبويه أنه توثب في دراسته عن منطلقات من سبقوه، والتي كانت ترمي إلى سد باب اللحن في اللسان العربي إلى إرساء نسق دراسي جديد، تمثل في تفعيل الدراسة الصوتية في حد ذاتها انطلاقا من صفات الأصوات، أي أنه انتقل من الدراسة الوصفية التجريبية إلى الدراسة المعيارية التجريدية، فأكملت عنده معالم الدراسة الصوتية فيزيولوجيا وفيزيائيا، ولا سيما في باب الإدغام، فكان عمله دعامته ومركزه كبيرا "حتى أصبحت مادته الصوتية التراث الأوحده للعلماء الذين جاءوا من بعده"³⁰.

وإذا أردنا أن نقف على بعض ملامح الدراسة الصوتية لسيبويه في نظريته للمفارقة بين صفات الحروف فإن ذلك يستجلى على سبيل التمثيل في الصاد التي كالزاي وهو حرف من الحروف المستحسنة عنده، حيث تنبّه سيبويه لأهمية هذه الظاهرة الصوتية السمعية، والتي يكون نطق الناطق فيها خارجا عن حدود إرادته، ونظرا لضباية هذا الصوت الذي يعترض المقومات التعريفية للصوتين الصاد والزاي فقد انبرى سيبويه ومن جاء بعده لقص مغاليق هذه الصورة السمعية الوسطية، والتي هي اقتناص ومشاكلة لصوتي الصاد والزاي في المخرج والصفة؛ ولم يكن سيبويه الوحيد المهتم بهذه الظاهرة الصوتية، فقد أسدى المبرد روعة وصفية لهذه الظاهرة بأنها اعتراض وتوسط وانتساب للصوتين معا بقوله: "إنه الحرف المعترض بين الزاي والصاد"³¹.

لم يكن لهذه الظاهرة الصوتية التي تقب عنها سيبويه صدى عند النحاة فقط، بل إنها احتضنت واكتست رعاية منقطعة النظير عند القراء والمجودين أطلقوا عليها اسم الإشمام، وسَمَّوها الصاد المُشَمَّة، وهي التي تشم رائحة الزاي، "فالصاد المُشَمَّة وهي التي بين الصاد والزاي فرع عن الصاد الخالصة وعن الزاي"³².

وإذا تناولنا تقسيم سيبويه للحروف من وجهة نظر حديثة، فيمكن القول بأن ما ذهب إليه يساق ثنائية لسان/كلام، فقد جعل حروف العربية تسعة وعشرين حرفا يوافق اللسان، لأن اللسان يرتن في دراسته إلى المكتوب والملموس، وأما المستحسن والمستحسن عنده فكانه يوافق الكلام عند المحدثين، وهذا ملمح حسن في تضمّن التراث العربي للمقاطع فوق التركيبية، والتي حظيت بعناية فائقة في الدراسة لدى المحدثين.

الغظي في تبيان ملامح الصوت بعامل الإطباق، إذ يقول في هذا الصدد: "لولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا ولخرجت الصاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها"¹⁹، حيث نلمح تقطن سيبويه لتأثير هاتين الصفتين على حاسة السمع.

كما تناول سيبويه هذه الظاهرة أيضا في معرض حديثه عن صوت الألف أثناء حديثه عن الفروع المستحسنة في لغة أهل الحجاز، إذ قال: "والف التنخيم، يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم الصلاة، والزكاة، والحياة"²⁰، كما أشار إلى التنخيم ابن جني بقوله: "وأما ألف التنخيم، فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو"²¹؛ وما يمكن قوله بأن هذا التنقيب من النحاة عن هاتين الصفتين ظهرت معالمه بجلاء مع القراء والمجودين

6- التكرير: وهي صفة يمتاز بها صوت الزاء، وهو "حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره"²²، والراء إذا تكلمت بها خرجت مضطربة، تتطلب جهدا من اللسان لضبطه عن كثرة الحركة، فهو صوت "إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير"²³؛ وما يلفت الانتباه تلك الميزة التي اتسم بها حرف الراء، وهي عدم إذعانه للإدغام حتى مع حروف مجموعته الدلّقية على الرغم من تقاربها في المخرج والصفة، وذلك لما يملكه حرف الراء من قوة التكرير، ف"الراء لا تُدغم لا في اللام ولا في النون، فهي مكررة، وهي تفشى إذا كان معها غيرها، فكرهوا أن يحذفوا بها فتدغم مع ليس مايتفشى في الفم مثلها ولا يتكرر"²⁴.

7- الانحراف: وهي صفة خاصة باللام، وقد وصفه سيبويه بقوله: "هو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام"²⁵، ويمكن الإشارة إلى أنّ سيبويه وصف صوت اللام بالشدة ولم يذكره في الحروف الشديدة، وقد أشار ابن عصفور أيضا إلى صفة اللام بقوله: "وتنقسم أيضا إلى منحرف وغير منحرف، فالمنحرف اللام، وما عداها ليس بمنحرف"²⁶.

8- الصغير والتفشي والاستطالة

وهي من الصفات الثانوية التي تناولها سيبويه في باب الإدغام، حين تحدّث عن الإدغام وعَلَّله، حيث بين صفة التفشي والاستطالة بقوله: "والثين لا تُدغم في الجيم، لأن الثين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء فصارت منزلتها منها نحو من منزلة الفاء من الباء، فاجتمع هذا فيها والتفشي"²⁷. وقال في الاستطالة أيضا: "لا تُدغم في الصاد والسين والزاي لاستطالتها يعني الصاد، كما امتنعت السين، ولا تُدغم لصاد وأختها قبلها لما ذكرت لك"²⁸. أما صفة الصغير فقد أشار إليها

3- مستجدات الطرح الصوتي عند ابن جني (392هـ):* تتجلى ملامح الدراسة الصوتية عند ابن جني وفقا للملامح النظرية التي أفرزتها الدراسة الصوتية لسيبويه، حيث أكتفى ابن جني بترديد مقولات سيبويه الفيزيولوجية؛ ولعل أهم استثمار قام به ابن جني كان انطلاقته من باب الإدغام لسيبويه، حيث أخصبت هذه البذرة التي زرعها سيبويه في باب الإدغام، فأينعت مع ابن جني في كتابه الخصائص حيث تعرض فيه لمختلف الظواهر الفونولوجية، فكان عمله طفرة صوتية في سياق الأطروحات الصوتية التراثية، حيث كان يهدف إلى البحث في علاقة الأصوات بالدلالة، ويلمح ذلك في أربعة أبواب من هذا الكتاب وهي:

أ - باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني.

ب - باب الاشتقاق الأكبر.

ج - باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.

د - باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني.

فعلى سبيل المثال يذكر ابن جني في باب مقابلة الألفاظ بما يُشكل الأصوات ويصفه بأنه "باب عظيم واسع ونهج متثلّب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها وذلك أكثر مما تقدّره وأضعاف ما نستشعره"³³.

وعند تعرّضه لمادة خَصَمَ وقَصَمَ، وبعملية استقرائية توصل إلى أن العرب يستعملون الخضم لأكل الرطب، ويستعملون القضم لأكل الصلب، ومما يشد الانتباه ويأخذ بالألباب اختيَارُ العرب الحاء لرخاوتها وتوظيفها للدلالة الاستعملية على حسب مقتضى الحال من أكل اللّين، وتوظيف القاف لصلابتها وقوتها لتناول المادة الصلبة، حيث توخّى ابن جني هذا الاستعمال عند العرب بأنهم "حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"³⁴، كما يشير ابن جني إلى أن مجرد التقارب في بعض الأصوات يكفي أحيانا للاشتراك في الدلالة نحو النضج والنضح في قوله تعالى: "فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ"³⁵، وهذا مطابق لحالة جريان الماء وتدفّقه، حيث نستشفّ اللّوق العربي الأصل في الالتكاء على صفات الأصوات للتعبير عن مضامينها وأحوالها؛ فالتعبير القرآني المُستعمل للحاء يقذف بالمستمع إلى الإحساس بشدة التدفق والتسيلان، وبما أن الحاء أخت الحاء وقرينة منها فتقارب اللّفظين لتقارب المعنيين، وكأنهم خُصّوا هذا المعنى بالحاء لأنها أقوى من الحاء وهذا المعنى أعظم في النفوس لدلالته على قدرة الخالق من توظيف النضح.

ومن ثمّ، فإن الإيجاءات الدلالية التي انتهى إليها ابن جني في بحثه المتعلق بدلالة الأصوات يدفعنا إلى الإقرار بحسّه اللغوي الدقيق، وكيف أنه استطاع أن يبيّن لنا مدى فاعلية العرب في استغلال صفات الحروف وتوظيفها وفق مقتضى الحال، فما يتطلب شدة وقوة يرهونونه بالحروف الفخمة الشديدة والمستعيلة المطبقة، وما يُناسب رِقّة الحال والضعف أو الإضمحلال يُوظّفوا له ما يناسبه من الحروف المهموسة والضعيفة اللينة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على حيوية هذا اللسان الذي ينبغي أن تُسر أغواره لما يشتمل عليه من لطائف وأسرار.

ومن هنا فإن النحاة القدامى كان لهم قصبُ السبق في وضع مركّزات الدراسة الصوتية، حتى صار عملهم السند المعول عليه، لأنّ عملهم قام على استقرار يبلغ حد الدقّة لكلام العرب، حتى توصّلوا إلى أن للحرف: اسما، وشكلا وطاقة، بل إنهم ميزوا حتى بين المفاهيم في تلك العصور، ففرّقوا بين الحرف والصوت في مصطلحاتهم، فاتّسم عملهم بتحليل دقيق للأصوات يُضاهي ويطاول ماتوصل إليه اليوم علم الأصوات العام.

صفات الحروف عند البلاغيين

لم تكن دراسة الأصوات مقتصرة على النحاة فحسب؛ بل زاحمهم في ذلك البلاغيون والمفسرون الذين كانوا يبحثون في سرّ الإعجاز القرآني، أمثال الخطّابي 388هـ، والزماي 386هـ والجاحظ 255هـ، في كتابه البيان والتبيين، وابن سنان الخفاجي 466هـ في سر الفصاحة، وأبو هلال العسكري 395هـ في كتاب الصناعتين، وعبد القاهر الجرجاني 471هـ في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وغيرهم من البلاغيين، غير أن تناولهم للظواهر الصوتية كان مفارقا لما ذهب إليه النحاة من تعرضهم للصفات والمخارج؛ فقد انصبّ بحثهم عن فصاحة الكلمة وانسجام الحروف عند تأليف الكلمة العربية للوقوف على فصاحتها، كما اهتموا بالإيقاع الموسيقي، والتلاؤم والتنافر، ولا سيّما أنهم أدركوا أن ما يُجلّ بهذه الفصاحة من تنافر الحروف وعدم انسجامها ينعكس سلبا على العملية التواصلية عموما.

وقد كان شأنُ البلاغيين كالنحاة يهدف إلى المحافظة على اللسان العربي من أن تشوبه شوائب التحريف؛ إذ كانوا يتعهدون من تحت أيديهم من الدّارسين والكتّاب بفائق التربية والتعليم والتوجيه، ولا سيّما إذا وجدوا منهم من قد تملّك ناصية الكتابة و تصاريف الكلام ووجوه استعماله، وتنبّه إلى جيد الكلام و رديته، و مقبولة و مردوده، فجبال الكلام عند أحفاد إسماعيل "يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته وتخير ألفاظه و إصابة معناه وجودة مطالعه، ولين مقاطعه واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشابه أمجازه بهواديّه، وموافقة ماخره لمبادئه،

معا، ومن فوائد التلاؤم سهولة الكلام أثناء النطق، وحسنه في السمع، وتقبل النفس لمعناه لما يرد عليها من جاليات الصورة والدلالة.

2- تقسيم صفات الحروف عند البلاغيين: تُلَمَح هذه الصفات عند البلاغيين في تنافر الحروف أو انسجامها و تلائمتها من عدمه، حيث جعل البلاغيون التنافر قسمين هما:

أ - التنافر في اللفظ المفرد.

ب - التنافر في الكلام المؤلف .

أولاً: التنافر في اللفظ المفرد: هو الذي يوجد في المفردة الواحدة، فتستقل في النطق وينفّر منها السامع لثقل وقعها على الأذن، كما أنها تعسر في النطق على المتكلم، ويمثل البلاغيون في هذا بقول أحد الأعراب لما سُئِلَ عن ناقته فقال: تركها ترعى الهعخع، ولا شك أن هذه المفردة مُستقلّة بسبب خلوّها من مميزات الكلام الجيد، ولأن تحقق فصاحة الكلمة يرتبها إلى استعمال العرب الفصحاء، حيث تكون هذه الكلمة قد حظيت بالقبول ودارت على منطقتهم، وألفتها ألسنتهم، ويتحقق ذلك بخلوّ المفردة من ستة أشياء هي³⁸:

أ - تنافر الحروف: كلفظة العخخع أو الهعخع، وهو نبات معروف عند العرب، ويرجع استقلال النطق بهذه الكلمة لتقارب مخرج أصوات الكلمة واشترائه وهو الحلق .

ب - مخالفة الوضع: أي أن لا تكون المفردة مبذولة وممتنة فيقفز المتكلم لاستعمال المفردة عن أصل وضعها فتستعمل في شيء مستقبح.

ج - خلوّه من الغرابة ووحشي الكلام و مبهمه بخلاف الكلام المؤلف لدى العرب، وذلك نحو الاسفط وهو الحمر، والفدوكس للدلالة على الأسد، لأن استعمال مثل هذه المفردات يشثتّ الذهن ، ولا يدرك معناه إلا بزيادة بحث وتأمل في كتب اللغة.

د - أن لا يتوالى في الكلمة أكثر من حركتين يحدث بسببها ثقل.

هـ - أن لا يكون متناهيًا في كثرة الحروف بلا زيادة معنى نحو "خندريس"، والذي هو بخلاف قولهم "اخشوشن" الذي يقصد به الزيادة في الخشن، أو قلة الحروف المحلة بالمعنى، ولذلك تمحلّ العرب الفعل الثلاثي وتوخّوه كمرتكز في دراستهم، وذلك لخلوّه من الفضلة في الحروف.

و- عدم استعمال اللفظ المشترك مطلقاً دون تقييد، فبعض الألفاظ التي تُستعمل في التضاد تحتاج لقرينة تبيّن وجهتها ودلالاتها كالتعزير فإنه يحتمل الإهانة والإكرام، ولذلك فهو يحتاج

حتى لا يكون له في الألفاظ أثر، فتجد المنظوم مثل المنشور في سهولة مطلعته وجودة مقاطعه وحسن رصفه وتأليفه وكإل صوغه وتركيبه، فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقاً و بالتخفظ خليقاً.³⁶

ونظراً لما اكتسبه موضوع الدراسة الصوتية عند البلاغيين فقد أُلْفُو فيه كتباً ودواوين، فقد ذهب ابن سنان الخفاجي ت466هـ إلى التعرض لصفات الحروف من منظور الفصاحة والبلاغة، وذلك بالتكشّف عن هذه الظواهر الصوتية انطلاقاً من الصور البيانية والمحسنات البديعية، كما تَوّاه الجاحظ255هـ في مقدمة كتابه البيان والتبيين إلى معرفة نظم الكلام ونقده وتبيان خصائصه ومعرفة جيّده من رديئه، وقد تطرق أيضاً للحديث عن الفصاحة ببذّة من أحكام الأصوات والمخارج والصفات والتأليف؛ ومّا يجب الوقوف عليه في عمل البلاغيين عند تعرضهم للدراسة الصوتية اهتمامهم ببعض الظواهر الصوتية كظاهري التلاؤم والتنافر، والإذلاق والإصمات، وفاعلية هذه الظواهر في تصليب أرضية الفصاحة عند جمهور البلاغيين.

1- ظاهرة التلاؤم والتنافر عند البلاغيين:

تعدّ هذه الظاهرة من أهم الظواهر المتناولة لدى البلاغيين، وهي معيار الجمال من عدمه عندهم ، وقد أغفلها النحاة و لم يتناولوها لاشتغالهم بالبحث في باب المخارج والصفات، ولم يتناولوها المتكلمة ولا أهل الصُرفة أيضاً، لاعتقاد أكثرهم بأن الله صرف العرب عن الإتيان بمثل القرآن، "وذلك لأن المتكلمين وإن صتّفوا في الأصوات وأحكامها حقيقة الكلام ماهو، فإنهم لم يُتَيّنوا مخارج الحروف وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها، وأصحاب النحو وإن أحكموا بيان ذلك فلم يذكروا ما أوضحه المتكلمون الذي هو الأصل والأس، وأهل نقد الكلام - البلاغة - فلم يعترضوا لشيء من جميع ذلك وإن كان كلامهم كالفرع عليه"³⁷.

وقد أجمع البلاغيون على أن التنافر هو مايعتري الكلمة المفردة أو الكلام المؤلف من ثقل يُشكّل عيباً على الكلام، لأنه يجب بسبب هذا الثقل زيادة حمدة عضلي إضافي على اللسان، وقد كان الجاحظ من أوائل من تنبه لهذه المسألة لما جعل من اقتران الحروف مدخلاً للبحث فيها، والوقوف على كنهها، فقد تعرّض للحروف عند اثنتائها في اللفظة وما ينجم عنه من التنافر، كالجم فأنها لا تقترب بالشين وذلك لاتحاد المخرج أو تقاربها.

أما التلاؤم فهو تعديل الحروف في التأليف، وتقريب بعضها من بعض وهو أحد شروط البلاغة، لأن الكلام لا يتحقق فيه البلاغة إذا تنافرت حروفه، لأنه يستثقل على اللسان والأذن

لقربة نحو قولنا لقيت فلانا فعزته ونصرته، فلفظ نصرته يقذف بلبّ السامع لاستحسان الموقف.

ولما كانت الحروف ممثلة ومحصورة في مادة حروفها وصورة صياغتها ودلالة معناها، فإن " عيبها إما في مادتها وهو التنافر وإما في صيغتها وهو مخالفة الوضع وإما في دلالتها على معناها وهو الغرابة" ³⁹.

وقد قسم البلاغيون هذا التنافر في اللفظ المفرد إلى شديد وخفيف :

أ - تنافر شديد: وهو ناجم عن الثقل الشديد الذي يلمح عند النطق بالكلمة، حيث أرجع البلاغيون سبب هذا التعذر إلى تقارب المخارج في الكلمة الواحدة، نحو قول أحد الأعراب: الهعخع أو العخخ، ومرد هذا الاستتقال في هذه الكلمة كون مادة هذه الحروف حلقة، فيعسر على الناطق التلقظ بها.

ب- تنافر خفيف: وهو دون الأول في الثقل وصعوبة الأداء والاستهجان، وقد جاء منه على السنة بعض الشعراء والبلغاء كقول امرئ القيس :

عَدَاةٌ مُسْتَشْرِزَاتٌ إِلَى الْغَلَا *** تَضِلُّ الْوَقَاصُ فِي مَثْنَى وَمُرْسَلٍ ⁴⁰

حيث أرجع البلاغيون هذا الاستتقال في كلمة مستشزرات إلى الصفات التي اكتست هذه الكلمة حيث إن عسر التلقظ بها لا يرجع لتقارب المخارج، وإنما لتضارب وتباين الصفات المؤلفة لها، فتوسط صوت الشين للزاي والتاء، نجم عنه ثقل راجع إلى كون صوت الشين المهموس الرخو جاء بعد التاء الشديدة المهمس، ليصطدم بصوت الزاي المجهور، فتعذر هذا التوثب من الصوت المهموس الضعيف إلى المهموس المتوسط فالجمهور القوي .

ثانيا : التنافر في الكلام المركب: الكلام الفصيح عند علماء البلاغة ما كان "سهل اللفظ، واضح المعنى جيد التسبك، متلائم الكلمات فصيح المفردات غير مستكره ولا مجوج، ولا متكلف ولا مخالف لقواعد العرب في نحوها و صرفها وغير خارج عن الوضع العربي في مفرداته وتراكيبه، وليس في كلماته تنافر، وليس فيه تعقيد لفظي ولا معنوي" ⁴¹.

ويقصد بالتنافر في الكلام المركب عند البلاغيين ذلك الثقل الذي يعتري المتكلم في المستوى الإفرادي، حيث يلمح هذا الثقل في الأداء الصوتي لدى الباث، فيجئ المتكلم أثناء كلامه إلى زيادة التركيز من أجل تخطي عتبة الشقوق في المستنقع الصوتي - إن صح التعبير-. ومما يجب الإشارة إليه أنّ هذه المفردات المكوّنة للسلسلة الكلامية إن نُطقت مستقلة فإنها تنماز بالفصاحة والسلاسة، فهي بعيدة كل البعد عن الغرابة ووحشي

الكلام ولو تقاربت المخارج، ولتحقق الفصاحة في التركيب يجب أن يسلم من خمسة أشياء هي ⁴²:

أ- سلامة المفردات المكوّنة للسلسلة الكلامية من العيوب البتة المتقدمة الذكر في فصاحة المفرد.

ب- أن يسلم من ضعف التأليف وهو الخروج عن قواعد اللغة العربية نحو قول الشاعر:

جَزَى رَيْهَ عَيِّي عَيِّي بَنِ حَاتِمٍ *** جَزَاءَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلَ ⁴³

فالشاعر خالف القياس في إعادة الضمير في ربه إلى عدي وهو متأخر لفظا ومعنى، والقاعدة العربية أن يعود الضمير على ما قبله أو بعده لفظا لا معنى.

ج - أن يسلم الكلام من التنافر الذي قد ينجم عن تجاوز المفردات، فقد تكون هذه المفردة سليمة حين انفرادها ولكن تُحدث ثقلا عند التركيب، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفَرٌ *** وَلَيْسَ قُزْبٌ قَبْرٍ حَرْبٍ قَبْرٍ ⁴⁴

حيث يندرج هذا البيت من الشعر عند البلاغيين ووفقا لتقسيماتهم في الكلام المركب إلى النوع المتسم بالتنافر الشديد الناجم عن التقارب الشديد للأصوات المكوّنة لهذا البيت الشعري، من حيث المخارج والصفات، مما نجم عنه تداخل وتشابه وتشاكل، فهو لا يمكن إنشاده ثلاث مرات متواليات إلا ويقع منشده في الخطأ .

وقد يعتري السلسلة الكلامية تنافر خفيف مردّه إلى ظاهرة التكرار والتشابه في المخرج كما يرى البلاغيون في قول أبي تمام يمدح موسى بن إبراهيم الرافقي:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى *** مَعِي وَإِذَا مَا لُئْتُ لُئْتُ وَخِي ⁴⁵

فالشاعر باستعماله لتكرار أمده وملتته أدى إلى تقويض صرح البلاغة والفصاحة، مما أدى إلى الثقل النطقي والسباعي معا، هذا بالإضافة إلى اشتغال مفردة أمده على ثلاثة حروف حلقة هي: الهمة والحاء والهاء، مما يزيد النطق عسرا واستتقالا.

ومن المركّزات التي انكأ عليها البلاغيون في الوقوف على كنهه الفصاحة ظاهري الإذلاق والإصبات، واللذان تعدان أداة إجرائية لمعرفة الفصيح من الدّخيل، والعربي من العجبي.

تعريف الإذلاق :

لغة: حدّ اللسان، كما تأتي بمعنى طرف الشيء وحده، وسميت المذلقة لخروجها من حد اللسان أي من طرفه، وهو ستة أحرف اللام والراء والنون والفاء والباء والميم وما سواها من الحروف لمصمتة ⁴⁶.

اصطلاحا: الذلاقة النطق بطرف أسلة اللسان والشفيتين .

تعريف الإصبات:

لغة: من مادة صمت يصمت صمتا وصمتا وصمتا أي: أطال السكوت⁴⁷.

اصطلاحا: الإصبات المصمت من الأصوات ما لاجوف له ويكون ثقيلًا، وسميت الأصوات المصمتة لثقلها على اللسان،⁴⁸ وحروفه ثلاثة وعشرون حرفًا، أي ماعدا المذلة.

فائدة الإذلاق والإصبات :

ل شك أن لهتين الصفتين فائدة كبيرة في الوقوف على الفصاحة من عددها، وغاية العربي قديما الإِفهام "فإن كل عارف بأسرار الكلام من كل لغة من اللغات يعلم أن إخراج المعاني في ألفاظ حسنة رائعة يلزها السمع ولا ينبو عنها الطبع خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع"⁴⁹، كما أنها تعتبر أداة إجرائية و مسبارا للدخيل في اللغة العربية، فاللسان العربي مفرداته لا تخلو من حرف على الأقل من الحروف الشفوية أو الذلقية، ولذلك فإذا وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرفة من الحروف الذلقية أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان فما فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب ، وما يجب الإشارة إليه أن صفتي الإذلاق والإصبات ليستا كغيرهما من الصفات التي تطرق إليها النحاة والمجودون، وذلك لأن هاتين الصفتين لا تتضمنان دلالة صوتية، كالجهر والهمس وغيرها من الصفات، وذلك لأن متعلق هاتين الصفتين لا يعدو الحديث عن مكان حدوث الصوت بالنسبة للإذلاق، والوظيفة الصرفية المتعلقة ببنية الكلمة بالنسبة للإصبات، ولذلك فإنه "لا يخفى على الدارسين أن صفتي الذلاقة والإصبات ليستا من الصفات التي لها دلالة صوتية، وإنما هما من الصفات الإضافية والتي تتعلق بنسبة الحروف إلى مخرجها أو وظيفتها الصرفية"⁴⁹.

كما أن هاتين الصفتين تُعدّان ركيزة للتوصل إلى الفصاحة والبلاغة، اللتان تُعدّان دَينَ العرب وصنعتهم، و بهما يُسفران عن مكنونات صدورهم و خوالج أنفسهم، ولا يتم لهم ذلك إلا إذا تمكنوا من الحياذ والميل عن مواطن العي من الكلام وقوادحه، وما "سُمي الكلام الفصيح فصيحًا كما أنهم سموه بيانًا لإِعرابه عما عبر به عنه وإظهاره له إظهارًا جليًا، وروي عن النبي أنه قال أنا أفصح العرب بيد أي من قرئش"⁵⁰.

وبناءً على هذا فقد رأى العرب أن المفردة لا يتسنى لها رونق و لا تتصف بفصاحة إلا إذا اشتملت على حرف من حروف الذلاقة (فر من لب)، كما أن كل كلمة خلت من هذه الحروف الستة فهي مستهجنة دخيلة على اللسان العربي، نحو كلمة عسجد وعسوطوس، وعلى هذا التوجه المتمثل في الكشف عن

معايير الفصاحة سار البلاغيون للمحافظة على الصنعة اللفظية وسلامتها من لدن الجاحظ والآمدي إلى ابن سنان الخفاجي الذي أشار إلى عظيم أعمالهم، وجسيم قدرهم⁵¹.

إن خلو الكلمة من الحروف الذلقية يجعلها ثقيلة على اللسان ، ومائلة نحو الوحشي من الكلام، ومتسمة بالغرابة والضبابية وثقيلة حتى على المتلقي "وليس يخفى على أحد من السامعين أن تسمية الغصن غصنا أو فننا أحسن من تسميته عسلوجا، وأن أغصان البان أحسن من عساليج الشوحط في السمع"⁵².

والتأمل في استحسان ابن سنان للغصن بدلا من العسلوج، وأغصان البان من عساليج الشوحط أن المفارقة بين المفردات صنعتها حروف الذلاقة، فخلو عساليج الشوحط من الحروف الذلقية باستثناء اللام فقط، هو بخلاف كلمة أغصان البان المشتملة على ثلاثة أصوات ذلقية وهي: النون والباء واللام، وقد عدّ ابن الأثير استعمال الناظم للوحشي من الكلام أشدّ شناعة من النادر لأنه يقصف صرح الفصاحة والبيان، بل إن استعمال بعض الحروف والتعويل عليها يذهب بذهن المتلقي إلى التشرّد، ويشتت تصوره، ويذهب ببيانه ولذلك فإنه "يجب على الناظم والناثر أن يحتنبا ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف كالهاء والذال والحاء والشين والصاد والطاء والظاء والغين فإن في الحروف الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يحسن من هذه الحروف المشار إليها"⁵³.

ومن خلال هذه الاستقراءات فإن الكلمة العربية كلما قلت فيها حروف الذلاقة تولّت وجهتها نحو الغموض والاستتقال، وتزداد غرابة وشناعة عند البلاغيين إذا ما خلت تماما من الحروف الذلقية كقول أبي تمام في وصف سهيل الخيل:

وَأَخَذَ طَعْمَ السَّيْقَاءِ سَاطِطًا *** وَخَاطِرَ مَجَالِطٍ عَكَّالِطٍ⁵⁴

فالتأمل في البيت لا يخفى عليه ما يعتريه عند النطق من الثقل والغرابة وعدم الحسن والطلاوة، لخلق البيت تقريبا من الأصوات الذلقية.

ومن كان سباقا للحديث عن الفصاحة ومتطلباتها الجاحظ وذلك بعملية استقرائية لخطب العرب وأشعارهم، حيث وقف على صفات الحروف من خلال فصاحة المتكلم وفصاحة الحروف والكلمة والكلام، وكان يهدف إلى المحافظة على اللسان العربي من أن يشوبه زيغ أو تحريف، والوصول بالمتكلم باللسان العربي إلى درجة مرموقة من الفصاحة والبلاغة والبيان، ولا ريب أن البصمة الأولى للفصاحة تتأق من المستوى اللساني الأول وهو المستوى الصوتي، المتمثل عند الجاحظ بفصاحة الحروف التي تُكوّن الكلمة المفردة، ولكي تؤدي وظيفتها على أكمل وجه يجب

أن تتسم بالسهولة والتناسق والتناغم لينتج عن ذلك حسن التجاور والتواشج في السلسلة الكلامية "فأما في اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين، بتقديم ولا تأخير"⁵⁵.

و لأن اقتران هذه الحروف حسبها يدفع بالمفردة إلى الاصطباغ بصيغة الاستهجان والاستتقال على السامع، وخلوها من الحروف الذلقية يكسب المفردة بعدا عن السلاسة في النطق والسهولة في الأداء والسلامة في الاستقبال.

أما بالنسبة للمستوى الصّرفي عند الجاحظ فقد اشترط خلّو الكلمة من تنافر الحروف والغربة ومخالفة القياس، وخلوها من الابتذال والسّوقية والوحشية، وذلك مراعاة للمتلقى الذي يتحقق عنده الإفهام من خلال السهولة اللفظية المتأئية من العبارات المأنوسة "فلا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا وكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا"⁵⁶.

وقد تناول ابن الأثير هذه المسألة أيضا وأشار إلى ما ينجم عنها من ثقل في النطق إذا خلت الكلمة من حروف الذلاقة، حيث يصعب النطق بها، ويستثقل اللسان من لفظها، وقد ذهب إلى المقارنة بين: البعاق والمزنة والديمة وأشار أن "هذه اللفظات الثلاث من صفات المطر، وهي تدل على معنى واحد ومع ذلك ترى أن لفظتي المزنة والديمة وما جرى مجراها مألوفة الاستعمال، وترى لفظ البعاق وما جرى مجراه متروكا لا يستعمل"⁵⁷.

أما بالنسبة للمستوى التركيبي وهو فصاحة الكلام عند الجاحظ فينبغي أن يسلم من ضعف التأليف والتعقيد، واللبس والغموض الذي تتأق مطارحه من المرتكزات التي وضعها في فصاحة الأصوات والكلمات، والذي ينجم عنه بالطبع سهولة الكلام على اللسان، وحسن الوقع في الأذان، ولا ريب أن هذا يتحقق بخلو المفردات من التنافر، وتباعد الحروف من تقارب المخارج، فقد تكون الكلمة مستقلة بمفردها مأنوسة، غير أنه قد يعترها في التراتبية الكلامية انكاس في أداء الوظيفة التعبيرية ومن ذلك قول الشاعر:

حَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةً الْجَنْدَلُ اسْجَعِي ** فَأَنْتِ بِمَرَأَى مِنْ سَعَادَ
وَمَسْمَعٍ⁵⁸.

فالشاعر هنا حاد عن معالم الفصاحة والبلاغة والبيان لتوالي الإضافات، فقد أضاف الحمامة إلى الجرعا، والجرعا إلى الحومة، والحومة إلى الجندل، وهكذا حاد عن الكلام المأنوس إلى اللبس والغموض، فضلا عما ينتج لدى السامع من استتقالٍ ناجم عن الحروف المتقاربة في المخارج والصفات.

أما الفصاحة عند عبد القاهر الجرجاني فإنه علقها بالنظم الذي يراعى فيه الكلمة وفق السلسلة الكلامية حيث "ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي يكون بها العلم إخبارا أو نبيا أو استخبارا أو تعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها ألا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة"⁵⁹.

فالألفاظ الفصيحة عند الجرجاني لا يستقيم شأنها و يتلّب أمرها إلا إذا تساوقت مع المعنى، وكانت مؤدية له، ولهذا عاب على من جعل الفصاحة مقتصرة على اللفظ فقط، فاللفظ لا مزية فيه حتى تظهر معالمة من خلال تأدية معناه. بخلاف ماذهب إليه من سبقه من البلاغيين في جعل الفصاحة مقترنة مع اللفظ المفرد، ويرافع الجرجاني عن وجهته البلاغية وممكن الفصاحة من خلال كلمة ابلي في الآية: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁶⁰ ويرى أن لا مزية لهذه المفردة منفردة، وكيف اكتست جمالا وفصاحة وبلاغة حينما وظفت في هذا السياق الناتج عن النظم والترتيب والتأليف الذي هو أساس النظم عنده "وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعنى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟"⁶¹.

وقد ذهب الجرجاني في الكشف عن الفصاحة في اللسان العربي إلى أنها قد تكون معنوية، ولو أن القارئ أسقط حرف الذلاقة (اللام) من الآية (هم العدو) "لرأيت الفصاحة قد ذهبت عنها بأسرها"⁶².

ولهذا قسم الجرجاني الفصاحة إلى ما هو متعلق بالألفاظ ومنها ما هو متعلق بالنظم، وجعل المتعلق بالألفاظ متمثلا في "الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد الاستعارة"⁶³.

وبما أن حروف الذلاقة تكسب اللفظ خفة وسرعة في الأداء فإن كثيرا من الأمثلة التي يوردها الجرجاني نجدها مشتملة على الأصوات الذلقية، وإن كان هو يركز على العلاقات النحوية والنظم فإن أمثلته لا تخلو من استفادة في الحروف الذلقية كإعجابه بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾⁶⁴، وقول الشاعر: فنام ليلى وتجلي هي فقد اكتسب لفظ (نام) ولفظ الليل مذاقة لم تكن لها)⁶⁵، وذلك لسهولة التطق بهذه المفردات وسلاستها وخفتها على اللسان.

خاتمة:

9. المصدر نفسه، ج4، ص 434.
10. المصدر نفسه ج4، ص434.
11. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداي، دط، ص 61.
12. ابن جني، المصدر نفسه، ص 61.
13. ابن جني، المصدر نفسه، ص61.
14. سيويه، المصدر السابق، ج4، ص 436.
15. سيويه، المصدر نفسه، ج4، ص128.
16. ابن جني، المصدر السابق، ص 62.
17. ينظر ابن جني، المصدر نفسه، ص62.
18. ينظر سيويه، المصدر السابق، ج4، ص130.
19. سيويه، المصدر نفسه، ج4، ص436.
20. سيويه، المصدر نفسه، ج4، ص432.
21. ابن جني، المصدر السابق، ص64.
22. سيويه، المصدر السابق، ج4، ص435.
23. ابن جني، المصدر السابق، ص63.
24. سيويه، المصدر السابق، ج4، ص448.
25. سيويه، المصدر نفسه، ج4، ص 435.
26. ابن عصفور المتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قبابة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 01، 1996، ص429.
27. سيويه، المصدر السابق، ج4، ص448.
28. سيويه، المصدر نفسه، ص466.
29. سيويه، المصدر نفسه، ص464.
30. علاء جبر محمد، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، دط، ص 52.
31. المبرّد، المقتضب، تحقيق عبد الخالق عطية، مطبعة دار التحرير، القاهرة، ج1، ص194.
32. الحافظ بن الجزري، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج1، ص 160.
- *- ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، قرأ على شيخه أبي علي الفارسي، نبغ في علم وظائف الأصوات وأسس كيانه، توفي في (392هـ).
33. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج2، ص 157.
34. المصدر نفسه، ج2، ص 158.
35. سورة الرحمن، الآية: 66.
36. أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، لبنان، د ط، ص64.
37. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 01، 1982، ص15.
38. ينظر كتاب علم الأدب، لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1887، ج1، ص55.
39. عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط3، ص21.

من خلال هذا البحث نستشف ونستخلص عدة نتائج أهمها:

* الثراء الزاخر للتراث العربي الذي يمكنه من مطاولة غيره من تراث الحضارات الأخرى.

* علاقة الأصوات ودلالاتها ظاهرة متجذرة عند العرب على غرار ما أسلفناه عند ابن جني.

* فاعلية صفة الإذلاق في النطق وتيسيره لتمتعها بلامح نطقية لا تتطلب جهدا عضليا كبيرا في النطق، بخلاف التراكيم الصوتية للأصوات المصمتة.

* جهود العرب وغيرهم من المسلمين في الكشف عن الدراسة الصوتية في اللسان العربي.

* أهمية المستوى الصوتي لدى التراثيين العرب والذي نال حصة الأسد في أبحاثهم.

* ولوج باب الفونولوجيا من قبل ابن جني اعتمادا على صفات الحروف وكيفية ملائمتها للمعاني المقصودة.

* المفارقة القراءاتية بين النحويين والبلاغيين في اكتناه الكشف عن الظواهر الصوتية، حيث انصب عمل النحويين على تبيان المعالم الصوتية، واستثمار البلاغيين لهذه النتائج في تشييد صرح البلاغة.

وفي الأخير نسعى أن يكون هذا العمل زادا في السير إلى الله، وعتادا يوم الوقوف بين يديه، ونأمل أن نكون قد طرقتنا باب الإسفار في تبيان وتوطيد الطريق للوقوف على بعض من المفارقة في الدراسة الصوتية بين النحاة والبلاغيين.

الهوامش:

القرآن الكريم برواية حفص.

1. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي مخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، ط1، 01، ج1، ص57.
2. السيرفي، أخبار النحويين البصريين، تحقيق طه محمد الزبيدي، محمد عبد المنعم خفاجي، ملتزم الطبع والنشر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1955، ص12.
3. الخليل بن أحمد الفراهيدي، المصدر السابق، ج1، ص57.
- *- سيويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحاربي، الفارسي ثم البصري، إمام النحاة، وجة العرب، ولد عام (148هـ) تلميذ الخليل، صاحب الكتاب الملقب بقرآن النحو، توفي عام (180هـ).
4. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، القسم الأول ص 189.
5. سيويه، الكتاب، تح عبد السلام هارون، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 02، 1982، ج4، ص 431.
6. المصدر نفسه، ج4، ص 431.
7. المصدر نفسه، ج4، ص 431.
8. المصدر نفسه، ج4، ص 434.

40. امرؤ القيس، حُنْدُج بن حُجر، ديوان امرؤ القيس، ضبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط05، ص115.
41. عبد الرحمان حسن جبنكه الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ط01، 1996، ج01، ص116.
42. ينظر كتاب علم الأدب، لويس شيخو اليسوعي، المرجع السابق، ج01، ص55.
43. ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط03، ص161.
44. الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط07-1998م، ج01، ص65.
45. أبو تمام الطائي، ديوان أبي تمام الطائي، تفسير الألفاظ محي الدين خياط، طبع بمناظرة والتزام مُحمَّد جمال، نظارة المعارف العمومية الجليلية، دط، ص129.
46. الخليل بن أحمد الفراهيدي، المصدر السابق، ج01، ص51.
47. ينظر ابن منظور، أبو لفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر ج04، ص89.
48. ابن الأثير، المثل السائر، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، دط، ص95.
49. الخليل بن أحمد الفراهيدي، المصدر السابق، ج01، ص54.
50. غانم قدوري، الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ط01، ص48.
51. يُنظر ابن سنان الخفاجي، المصدر السابق، ص59.
52. المصدر نفسه، ص63.
53. المصدر نفسه، ص65.
54. المصدر نفسه، ص68.
55. الجاحظ، المصدر السابق، ج01، ص69.
56. الجاحظ، المصدر نفسه، ص69.
57. ابن الأثير، المصدر السابق، ص91.
58. لويس شيخو اليسوعي، المرجع السابق، ص58.
59. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر 1991، ص39.
60. سورة هود، الآية 44.
61. الجرجاني، عبد القاهر، المصدر السابق، ص81.
62. المصدر نفسه، ص404.
63. المصدر نفسه، ص430.
64. سورة يونس، الآية 67.
65. ينظر الجرجاني، المصدر السابق، ص463.